أحمد المعتضد بالله أمير المؤمنين أبو العباس بن ولي العهد أبي أحمد
طلحة الموفق بالله بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بن الرشيد الهاشمي العباسي
ولد في ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين ومائتين في دولة جده وقدم دمشق
سنة إحدى وسبعين لحرب خمارويه الطولوني فالتقوا على حمص فهزمهم أبو العباس
ثم دخل دمشق ومر بباب البريد فالتفت فوقف ينظر إلى الجامع فقال أي شيء
هذا قالوا الجامع ثم نزل بظاهر دمشق بمحلة الراهب أياما وسار فالتقى خمارويه
عند الرملة واستخلف بعد عمه المعتمد في رجب سنة تسع وسبعين وكان ملكا
شجاعا مهيبا أسمر نحيفا معتدل الخلق ظاهر الجبروت وافر العقل شديد الوطأة
من أفراد خلفاء بني العباس كان يقدم على الأسد وحده لشجاعته قال المسعودي
كان المعتضد قليل الرحمة قيل إنه كان إذا غضب على قائد أمر أن تحفر له حفيرة
ويلقى فيها ويطم عليه قال وكان ذا سياسة عظيمة وعن عبد الله بن حمدون
أن المعتضد تصيد فنزل إلى جانب مقثاة وأنا معه فصاح الناطور فقال
علي به فأحضر فسأله فقال ثلاثة غلمان نزلوا المقثاة فأخربوها فجيء بهم فضربت
أعناقهم في المقثاة من الغد فكلمني بعد مدة فقال اصدقني فيما ينكر علي الناس
قلت الدماء قال والله ما سفكت دما حراما منذ وليت قلت فلم قتلت
أحمد بن الطيب قال دعاني إلى الإلحاد قلت فالثلاثة الذين نزلوا المقثاة
قال والله ما قتلتهم وإنما قتلت لصوصا قد قتلوا وأوهمت أنهم هم وقال
البيهقي عن الحاكم عن أبي الوليد حسان بن محمد الفقيه عن ابن سريج عن إسمعيل
القاضي قال دخلت على المعتضد وعلى رأسه أحداث صباح الوجوه روم
فنظرت إليهم فرآني المعتضد أتأملهم فلما أردت القيام أشار إلي ثم قال
أيها القاضي والله ما حللت سراويلي على حرام قط ودخلت مرة فدفع إلي كتابا
فنظرت فيه فإذا قد جمع له فيه الرخص من زلل العلماء فقلت مصنف هذا زنديق
فقال لم تصح هذه الأحاديث قلت بلى ولكن من أباح المسكر لم يبح المتعة
ومن أباح المتعة لم يبح الغناء وما من عالم إلا وله زلة ومن أخذ بكل زلل العلماء ذهب
دينه فأمر بالكتاب فأحرق وقال أبو علي المحسن التنوخي بلغني عن المعتضد
أنه كان جالسا في بيت يبنى له فرأى في جملتهم أسود منكر الخلقة يصعد على السلالم
درجتين درجتين ويحمل ضعف ما يحملونه فأنكر أمره فأحضره وسأله عن سبب
ذلك فتلجلج فكلمه ابن حمدون فيه وقال من هذا حتى صرفت فكرك إليه قال
قد وقع في خلدي أمر ما أحسبه باطلا ثم أمر به فضرب مائة وتهدده

بالقتل

بالقتل ودعا بالنطع والسيف فقال الأمان فقال نعم فقال أنا أعمل في أتون
الآجر فأتى علي منذ شهور رجل في وسطه هميان فتبعته فجلس بين الآجر لا يعلم
بي فحل هميانا وأخرج دنانير فوثبت عليه وسددت فاه وكتفته وألقيته في
الأتون والدنانير معي يقوي بها قلبي فاستحضرها فإذا على الهميان اسم صاحبه فأمر
فنودي في البلد فجاءت امرأة فقالت هو زوجي ولي منه طفل فسلم الذهب إليها
وهو ألف دينار وضرب عنق الأسود قال أبو علي وبلغني عن المعتضد أيضا
أنه قام في الليل فرأى بعض الغلمان المردان قد وثب على غلام أمرد ثم دب على أربعة
حتى اندس بين الغلمان فجاء المعتضد فوضع يده على فؤاد واحد واحد حتى وضع يده على
ذلك الفاعل فإذا به يخفق فوكزه برجله فجلس فقتله قال وبلغنا عنه
أن خادما له أتاه فأخبره أن صيادا أخرج شبكته وهو يراه فثقلت فجذبها
وإذا فيها جراب فظنه مالا ففتحه فإذا فيه آجر وبين الآجر كف مخضوبة بحناء
فأحضر الجراب فهال ذلك المعتضد فأمر الصياد فعاود وطرح الشبكة فخرج جراب
آخر فيه رجل فقال معي في بلدي من يقتل إنسانا ويقطع أعضاءه ولا أعلم به
ما هذا ملك فلم يفطر يومه ثم أحضر ثقة له وأعطاه الجراب وقال طف به على من
يعمل الجرب ببغداد فلمن باعه فغاب الرجل وجاء فذكر أنه عرف بايعه بسوق
يحيى وأنه اشترى منه عطار جرابا فذهب إليه فقال نعم اشترى مني فلان بن
الهاشمي عشرة جرب وهو ظالم من أولاد المهدي وذكر من أخباره إلى أن قال يكفيك
أنه كان يعشق جارية مغنية لإنسان فاكتراها منه وادعى أنها هربت فلما سمع
المعتضد ذلك سجد لله شكرا وأحضر الهاشمي فأخرج له اليد والرجل فامتقع
لونه واعترف فأمر المعتضد بدفع ثمن الجارية إلى صاحبها ثم سجن الهاشمي فيقال
إنه قتله قال التنوخي ثنا أبو محمد بن سليمان حدثني أبو جعفر بن حمدون
حدثني عبد الله بن أحمد بن حمدون قال كنت قد حلفت ألا أعقد مالا من القمار
ومهما حصلته صرفته في ثمن شمع ونبيذ وأجرة مغنية فقمرت المعتضد يوما
سبعين ألفا فنهض يصلي سنة العصر فجلست أفكر وأندم على اليمين فلما سلم قال في
أي شيء فكرت فما زال بي حتى أخبرته فقال وعندك أني أعطيك سبعين ألفا من القمار
قلت له فتضعوا قال نعم قم ولا تفكر في هذا ثم قام يصلي فندمت ولمت نفسي
لكوني أعلمته فلما فرغ من صلاته قال اصدقني عن الفكر الثاني فصدقته فقال أما
القمار فقد قلت إني ضعوت ولكن أهب لك من مالي سبعين ألفا فقبلت يده
وقبضت المال وقال أبو المحسن التنوخي عن أبيه رأيت المعتضد وعليه